

# إقامة السلم في السياق المعاصر مبادئ التأصيل وآليات التعزيز

## قراءة في كتاب مفهوم السلم في الإسلام للدكتور أحمد عبادي

د. محمد المنتار
رئيس مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء

صدر حديثا لفضيلة الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء، الأستاذ الدكتور أحمد عبادي، كتاب بعنوان: «مفهوم السِّلم في الإسلام: مبادئ التأصيل وآليات التعزيز»، ضمن إصدارات منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، عن دار مسار للطباعة والنشر، دبي، في طبعته الأولى 2019م.

وقد بنى الدكتور أحمد عبادي كتابه على مقاربة علمية واقعية واستشرافية، قوامها مبرر أصلي، ومبررات أخرى بالتبع. أما المبرر الأصلي فمرده إلى «أن تعزيز السلم في مجتمعاتنا الإسلامية، يستلزم المعرفة بقرائن الأحوال ومستأنفاتها، كما يستلزم الدراية بتضاريس الواقع الذي توجد فيه مناطات الكسب السلبي، كما يكون موافقا لاحتياجات الواقع الذي يتجوهر فيه، ومتجانفا عن عوائقه، أو مذللا لها. إذ في غياب العلم بالواقع واحتياجاته وعوائقه، تصبح إناطة الكسب السلمي بمتعلقاته







وبمناطاته، أمرا في غاية العسر»[1]. وقد شكلت مباحث الفصول الستة الأولى[2] للكتاب محاولة التوفية بتطلبات هذا المبرر المركزي.

فكرة السلم في الرؤية القرآنية فكرة أصيلة وعميقة تتصل اتصالا وثيقا بطبيعة وفكرته الكلية عن الكون والحياة والأحياء.

أما المبررات التبعية؛ والتي رامت باقي فصول الكتاب[3] الوفاء بتطلباتها البحثية، والتحليلية، والعلمية، فتتجلى في «اقتضاء بلورة قوة اقتراحية بهذا الصدد استحضار مجموعة من التقلبات والتجاوزات والانتهاكات التي أضحى يعيشها عالمنا بهذا الخصوص، وكأننا في أتون كابوس دلفت إليه البشرية بمحض إرادتها عبر العقود والقرون؛ وتحتاج للخروج منه، إلى تضافر الجهود؛ وإذ إن واقع الأمة اليوم، نتاج ترسبات كثيفة، عقيدية، وتصورية، وتربويّة، واجتماعية، وسياسية... تمت عبر أزمنة تاريخية، يمكن تشبيهها بالطبقات الجيولوجية المختلفة، ومن ثمّ فإن فهم واقعنا المعاصـــر، يستلزم قراءة هذه الترسبات، والوقوف على تفرعاتها، واستجلاء أسبابها، حتى يصبح تجاوزها ممكنًا، عبر معالجة لها دقيقة، في تفكيك لجزئياتها، لكن ضمن شمول وتكامل، حتى تتجلى لدينا صورة واقع الحال الموجود بتفاصيلها، فيتم بناء على ذلك الاقتراح المنهجي للانتقال إلى المآل المنشود.»[4].

1. أحمد عبادي، مفهوم السلم في الإسلام: مبادئ التأصيل، وآليات التعزيز، مسار للطباعة والنشر، دبي، ط1، 2019، ص: 14.
2. وهي الفصول الآتية: الفصل الأول: السلم: التأصيل والمبادئ. الفصل الثاني: مستويات النسيج النسقي القرآني لإقامة السلم. الفصل الثالث الرؤية الكلية أسّ لبناء صرح السلم في المجتمعات المسلمة.الفصل الرابع: إحلال السلم وضرورة الوعي بالسياق الكوني المعاصر الذي يلفّنا. الفصل الخامس: في علاقة التماسك الاجتماعي بسلسلة الإدراك، وبشبكة التصورات وبالقبلة المجتمعية. الفصل السادس: السلم حقا من الحقوق التضامنية.
3. وهي ستة فصول، وفق الترتيب الآتي: الفصل السابع: في الحاجة إلى انبعاث مفهوم القيام الواجب من جديد. الفصل الثامن: الإمامة والقدرة على إبصار الآيات/ العلامات. الفصل التاسع: في ضرورة مكافحة الفقر لتحقيق السلم في البلدان المحترقة. الفصل العاشر: في دينامية اجتيال أحلام الأمة، ووجوب إنتاج أحلام بديلة. الفصل الحادي عشر: هل إلى خروج من سبيل؟. الفصل الثاني عشر: في ضرورة تفكيك خطاب التشظية في مجتمعاتنا.
4. نفس المرجع، ص: 14-15.



وإذا استحضرنا أن عالم اليوم ليس هو العالم الذي كان يعرفه أسلافنا ولا أجدادنا ولا آباؤنا ولا حتى نحن بالأمس القريب؛ حيث فُرضت على هذا العالم إيقاعات في غاية السرعة جعلت هذا الجيل من النوع البشري، جيلا قد تبدت وتكشفت خلال حياته جلّ المخترعات الفارقة التي عرفتها البشرية عبر تاريخها، وهو ما انتبه إليه الباحث المُنَقِّب ألفين توفلر، والذي كتب كتابا سماه «صدمة المستقبل»، رصد فيه هذه الظاهرة، فإن التناول لهذا الموضوع لا يمكن ألبتة، أن يتم في ذهول عن ذلك.

لكل المقتضيات السياقية سالفة الذكر، والتي شكلت المبررات التبعية لتناول موضوع السلم في الإسلام، جاء التأكيد في مطارحة الدكتور أحمد عبادي، على بُعدي الرصد والتأصيل، واعتبارهما الأرضية التي لابد منها لقيام أي عمل ناجع في هذا المجال، مع استدماج وجوب أن يكون هذا العمل مستوعبا لمختلف الأصعدة، قصد الاستعانة بالجهود الوظيفية ذات الصلة، في الأوساط العلمية، والمؤسسات البحثية، والإعلامية، وغيرها، والتوصل بكافة الوسائل الناجعة المشروعة الممكنة، في أفق الإسهام في تزويد وجدانات وعقول بنات وأبناء الأجيال القادمة، بما يمكّنهم من الاضطلاع بوظائفهم بهذا الخصوص، بمسؤولية ورشد وفاعلية، أكبر.

## أولا ـ جوهر السلم في الرؤية القرآنية: التأصيل والمبادئ

إن فكرة السلم في الرؤية القرآنية فكرة أصيلة وعميقة تتصل اتصالا وثيقا بطبيعة وفكرته الكلية عن الكون والحياة والأحياء، ولا بد من تلقي الإشارات الكثيرة الموجودة في الكتاب والسنة، والتي تؤصل لثقافة السلم وتنميتها، ورعايتها حق رعايتها، وتجليتها، وتوضيحها لأنفسنا، وللعالمين، وهي أمانة أيّما أمانة.

وقد خصص الأستاذ أول فصول كتابه للكشف عن جوهر السلم في الرؤية القرآنية[5]، منطلقا من التأسيس القرآني والبيان النبوي لمفهوم السِّلم، مبيّنا أصول

5. تتعلق معظم موارد مادة (س ل م) في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، بمصدرين اثنين، هما: السلام، والإسلام. وألفاظ السلم، بكسر السين (السِّلْم) وفتحها (السّلْم)، والسَّلَم بفتح اللام، تحيل على معنى السلام. ويعد تركيب (س ل م) من أغنى تراكيب باب السين واللام والميم

ومبادئ السلم على المستويات الاعتقادية / الاستشرافية، والتربوية، والاقتصادية، وكذا السياسية.

وقبل التفصيل في التأسيس القرآني، والبيان النبوي لمفهوم السِّلم، بسط الدكتور أحمد عبادي دلالات الجذر اللغوي (س ل م) في لسان العرب، ووقف على أن معظم بابه من الصحة، والعافية، الصلح، والصفح، والخير، والسلامة والأمن[6]؛ ليؤسس بعد ذلك لهذا المفهوم القرآني، انطلاقا من عدد من آيات الذكر الحكيم، يأتي في مقدمتها الآيات التي ورد فيها ذكر لفظ «السّلم»، معرفا بالألف واللام، في المواضع الآتية:

ـ سورة البقرة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (البقرة:206).

ـ سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾ (النساء:93).

ـ سورة الأنفال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (الأنفال:62).

ـ سورة محمد: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ (محمد: 36).

وكما الكتاب، فالناظر في السُنة النبوية الشريفة، والسيرة العطرة، ووصايا الرسول صلى الله عليه وسلم[7]، يجدها شاهدة على أنَّ جوهر دعوته عليه الصلاة والسلام؛

في معاجم اللغة، ومعظم بابه من الصحة والعافية. انظر **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، باب: لسين، واللام، وما يثلثهما، مادة: سلم.

6. ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ، باب: لسين، واللام، وما يثلثهما، مادة: سلم.

7. ومن الأحاديث الدالة على السلم والسلام:

ـ قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَةِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» متفق عليه.

ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». رواه أحمد في مسنده 9187.





هو: (السلم والسلام)، فلم يكن نبي الختم، صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الحرب، ولا إلى المخاصمة، والتنازع، ولا إلى التشاجر، بل يدعو إلى السلام، ويهدي الناس إليه ويدلهم عليه.

خصص الأستاذ أول فصول كتابه للكشف عن جوهر السلم في الرؤية القرآنية.

كما عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مقدَمِه المدينة، مع اليهود حول المدينة والمشركين، عهداً على المسالمة والموادعة والدفاع المشترك عن المدينة. وعقد رسول الله مع مشركي قريش صلح الحديبية، وهم على شركهم.

وفي مقدمة الأحاديث الدالة على السلم والسلام قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «من أَصبحَ آمنًا في سِرْبِه، معافًى في جَسدِه، عنده قوتُ يومِه؛ فكأنما حيزت له الدُّنيا»[8] دلالة واضحة على الإنسان لا يكون سعيدًا في هذه الدنيا إلى بالسلم والسلام. يقول ابن عاشور: «وإِذَا فُسِّرَ السِّلْمُ بِالْإِسْلَامِ؛ أَيْ دِينِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ الْخِطَابَ بِـ«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» وَأَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، يُؤَوَّلُ بِأَنَّهُ أَمْرٌ بِزِيَادَةِ التَّمَكُّنِ مِنْهُ وَالتَّغَلْغُلِ فِيهِ. أما إذا فُسر السلم بالمعنى الحقيقي، فيراد به السِّلْمُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنِ اتَّصَفُوا بِالْإِيمَانِ بِأَلَّا يَكُونَ بَعْضُهُمْ حَرْبًا لِبَعْضٍ... وقد يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ السِّلْمِ، السِّلْمَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ مَعْنَى الْمَجَازِ، أَيِ ادْخُلُوا فِي مُسَالَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ مَنْهِيَّاتِهِ»[9].

إن السِّلم من المصطلحات المفاتيح، التي يستحيل بدونها تحصيل المعاني الكلية لهذا الدين، فهو مفتاح من مفاتيح الاعتقاد، والعبادة، والمعاملات، والعلاقات الدولية.

ومن هذا المنطلق أصل المؤلِّف للسلم في إطار صيرانه إلى ضرورة؛ مندرجة ضمن مجموعة من المكونات، والعناصر، والرافعات، وذلك من خلال مداخل علمية مترابطة ومتكاملة، تسهم جميعها في رسم المعنى الكلي للسلم. وقد رتبها المؤلف ترتيبا منهجيا، وفق الشكل الآتي[10]:

8. رواه الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي، برقم 2346، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم 1913.

9. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 2/ 276.

10. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 25–35.





ـ **التأصيل الاعتقادي/ الاستشرافي للسلم**؛ ومرد ذلك إلى أن تحقيق الأمن، والسلم الجماعي يعد من بديهيات الإيمان بعقيدة التوحيد في الرؤية القرآنية، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:82)، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:53)، وقال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد:29).

ـ **التأصيل التربوي للسلم**؛ من خلال بلورة وسائل تربوية، تربي الناس جميعًا، على ضرورة إحلال السلم في مجتمعاتهم وحمايته، بمختلف مستوياتهم العمرية، والاجتماعية، والعملية، وتوظّف كل القنوات المتاحة، من إعلام، وسياسة، ومنتديات ثقافية، وممارسات اقتصادية، ومؤسسات اجتماعية، في سبيل ذلك.

> السِّلم من المصطلحات المفاتيح، التي يستحيل بدونها تحصيل المعاني الكلية لهذا الدين.

ـ **التأصيل الاقتصادي للسلم**؛ فالسلم والأمن لهما أثرٌ كبيرٌ على استقرار البلاد والعباد وحسن معايشهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (البقرة: 126)، وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ (البقرة: 155)، وقال عز وجل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: 112)، وقال سبحانه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ (قريش: 1-5)، وهذا مشعر بأنه لا يمكن أن تقوم للأمم قائمة بدون الأمن والسلم والاطمئنان.

ـ **التأصيل السياسي للسلم**؛ وقد دافع المؤلف في هذا المستوى على أن التجاوز والاستدراك لما تعرفه مجتمعاتنا اليوم، لا يمكن إطلاقًا أن يتم خارج المعترك السياسي،

وخارج إطار تحمل أماناتٍ ومسؤوليات حقيقية ــ قلَّت أم كثُرت ــ من مسؤوليات الأمة، من قِبَل مؤمنين بهذا الدين، معتقدين بصلاحية شريعته لتأطير حياة الناس في كل مصر وعصر، حتى تكون المواكبة لمستأنفات الأحوال بكل الكسب الفقهي اللازم موازنة وتسديدًا وتقريبًا وتغليبًا. وإلا فلن تعدو الاجتهادات أن تكون نظرية عُلوية مطلقة، متجانفة عن الإشكالات الحقيقية الموجودة في المجتمعات المشخصة والعينية التي تحتاج إلى اجتهادات خاصة بها... وهي اجتهادات لا غرو سوف تكون أيضًا عقب سَيْرٍ في الأرض، ونظر في تجارب الآخرين واستفادة منها، ولا يخفى أن التوطين للسلم في مجتمعاتنا يمر حتما من هذه الطريق.

إن أهم خلاصة يخرج بها قارئ الفصل الأول؛ الذي حرره الأستاذ بنفَس تأسيس، أن تحقيق الأمن، والسلم، والسلام من مستلزمات الإيمان بعقيدة التوحيد في الإسلام، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:82)، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ (النور:53)، وقال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد:29).

## ثانيا - تحقيق السلم واجب شرعي، وضرورة من ضرورات استقامة أمانة الاستخلاف والعمران الإنساني.

بعد أن تمّ عرض التأصيلات العلمية والمنهجية لمفهوم السلم في الإسلام، انطلاقا من نصوص القرآن والحديث، يقرر الأستاذ أن جوهر السلم والسلام في الرؤية القرآنية في ارتباطه بمبدأ التوحيد، يتجاوز معنى الحق الإنساني ليصبح **واجباً شرعياً، وضرورة من ضرورات استقامة أمانة الاستخلاف والعمران الإنساني**، ذلك إن دين الإسلام، قبل أن يُكسِب الإنسانَ حقوقه، بَنى عقيدة هذا الإنسان على مبدأ التوحيد، وحَرَّره وجدانيًا انطلاقا من عقيدة التوحيد، التي تؤطر نظرة الإنسان إلى الواقع، والحقيقة، والعالم، والحياة، والأحياء.

بعد هذه **المقدمة/ القاعدة** يرصد الأستاذ جملة من التشريعات المشكلة لصرح السلم في الرؤية القرآنية، من أهمها:

- **حفظ الحقوق والمصالح الضرورية** (الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال)، وحاجياتها، وتحسيناتها، ومكملاتها، التي بها تتحصل السعادة في العاجل والآجل، وبحفظها يتحقق السلم والأمن والأمان[11].

وتعد الضروريات الخمس المقررة في كل الملل والنحل تعد أصلا لثقافة السلم السلام؛ ذلك لأنها أساس كل سلام، ومن دونها لا يتحقق السلم والسلام، لا السلام مع النفس، ولا السلام مع الجار، ولا السلام بين الأفراد، ولا بين الجماعات، ولا السلام بين الأمم.

- **رعاية كليات الإسلام ومقاصده العليا،** لأنها هي التي تشكل عمق الثقافة والقيم والسلوك في مجتمعاتنا الإسلامية، وفي مقدمة هذه الكليات:

- **إقامة العدل والإنصاف، ودفع الظلم**؛ قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:8)؛ ذلك أن من شروط تحقيق السلام بين الشعوب والمجتمعات: إقامة العدل والإنصاف بينهم، فلا يعتدي أحدٌ على حق أحدٍ، ولا يظلم أحدٌ أحدًا.

- **المساواة**؛ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:13). فالإسلام يُقرِّر أنَّ الناسَ، بغض النظر عن اختلاف معتقداتهم وألوانهم وألسنتهم، ينتمون إلى أصلٍ واحدٍ، فهم إخوة في الإنسانية. قال النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكم لآدمَ، وآدمَ من ترابٍ، لا فضلَ لعربيٍّ على أَعْجَمِيٍّ إلا بالتقوى»[12].

- **الوفاء بالعهود**؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ (المائدة:1)، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:34) فالأخوة

11. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 27.

12. رواه الإمام أحمد في المسند.



الإنسانية العامة، توجب قيام العلاقةِ بين الشعوب والأمم على المودَّةِ والوفاء بالعقود والعهود، ما دام الاعتداءُ غيرَ قائم، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:8).

- **منع العدوان**؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: 190).

- **التعاون على البر والتقوى**؛ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: 2)[13].

> أصل المؤلِّف للسلم في إطار صيرانه إلى ضرورة؛ مندرجة ضمن مجموعة من المكونات، والعناصر، والرافعات.

إن ما رتبه الأستاذ في هذه القضايا يصدر عن تصور يدافع عن المقاصد العليا لدين الختم، وعن وظيفية هذه المقاصد في تحقيق السلم والأمن والعيش الآمن في مختلف المستويات، من أجل ذلك نبّه الدكتور أحمد عبادي إلى الاضطرابات الجسيمة في الماضي، وكذلك في واقعنا الراهن عند الغفلة عن هذه المبادئ، وذلك «بسبب روم طوائف من أبناء الأمة، الذين اختطفهم عالم الأشياء، وأذهلهم عن كينونة أمتهم، تطبيق مناهج «تغييرية»، لا تبدأ من هذا المبتدأ.. مما أحل واقع التنازع والتدابر والقتل بين ظهرانينا، وضَيَّع جهودًا، وهَدَر مقدراتٍ، الأمَّةُ اليوم في أمس الحاجة إليها...»[14]

## ثالثا - أبعاد النسيج النسقي القرآني لإقامة السلم في المجتمعات المسلمة.

إن التأصيل لموضوع السلم في القرآن المجيد، وفي السنة النبوية المطهرة يقتضي غوصا استنطاقيا تثويرا وتنويريا للقرآن المجيد؛ «ذلكم القرآن فثوروه»، «ثوروا القرآن»، «ذلكم القرآن فاستنطقوه».

13. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 27-28.

14. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 28.





من هذا المنطلق فإن «الاستنطاق للقرآن المجيد بخصوص السلم سوف يجعل المرء يكتشف أن السلم في القرآن المجيد مسألة عرضانية، بمعنى أنها تمس كل مكونات الإنسان، وتمس كل جوانب حياته»[15].

> السلم والأمن لهما أثرٌ كبيرٌ على استقرار البلاد والعباد وحسن معايشهم.

إن رؤية الأستاذ لهذه القضية تظهر بجلاء أن «التوطين للسلم يبدأ من باطن الإنسان، بحيث يخلِّص الإنسان من الخوف، والمتتبع لآيات الخوف في القرآن المجيد يجد أنها تتضافر وتتواشج لشفط هذا السم الزعاف من كيان الإنسان، قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 175)، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: 39)، وقال جل وعز: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل:50)»[16]

إن السلم في الإسلام لا ينبني فقط على إخلاء الإنسان على المستويين الفردي والجماعي من تبعات الخوف في حياته، بل إن السِّلم يبرز كذلك في توجيه المحبة، أيضا «حين تستقر العقيدة بالمعاد في القرآن المجيد، فإن صنفا من المصالح والتي تدخل في المصالح ذات المدى الطويل تصبح أيضا مصالح قائمة، وهذا النوع من المصالح (المصالح ذات المدى الطويل) والتي قد لا يذوق الإنسان ثمارها، حين تضمحل وتتلاشى من مجتمع معين، وهي أول ما يبدأ في التلاشي حين انعدام أنوار العقيدة السليمة، فإن السلم يبدأ في الانعدام أيضا، ويطفق ظله في التقلص، وكما قال صلى الله «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيّة إلى جحرها»[17] فالسِّلم يأرز إلى جحور الغيب إلى أن تأتي مقتضياته. لماذا؟ لأن هذه المصالح ذات المدى الطويل بدون الرافع الاعتقادي لا يمكن أن يقبل عليها الإنسان»[18].

15. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 39.
16. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 39.
17. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب: الإيمان يأرز إلى المدينة، برقم: 1876.
18. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 45.

من هنا تظهر وظيفية عقيدة المعاد، باعتبارها في المنظور القرآني، هي الوليجة، والسبيل، والوسيلة التي تستمر بها المصالح ذات المدى الطويل بالتحقق، وهذا الذي يضمن الأمن والسلم في المجتمعات، فحين نتأمل السلم العام والأمن العام في مجتمع معين من المجتمعات الآدمية، سوف نجد أن ذلك شديد التواشج مع المصالح ذات المدى البعيد.

إن العملية التأصيلية التي قام بها الأستاذ لمفهوم السلم انطلاقا من نصوص الوحي، تبين أن السِّلم من المصطلحات المفاتيح، التي يستحيل بدونها تحصيل المعاني الكلية للدين الخاتم. وهو مصطلح لا ينفك عن الإسلام والسلام، ويظهر ذلك جليا من خلال ضميمتي: **دار السلام**؛ ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 127)، **وسبل السلام**؛ ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٧ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: 15 ـ 16).

وفي ترابط منهجي منضبط، ومستشرف لتوظيف أمثل للموارد التي جاء بها مفهوم السلم في نصوص الوحي، حدد الأستاذ أبعادا سبعة، تشكل نسيجا نسقيا قرآنيا لإقامة السلم في المجتمعات المسلمة، ويمكن رصدها في الأبعاد الآتية[19]:

1ـ **البعد الغرائزي**؛ وهذه الغرائز تضبط ضبطا يمنع انفلاتها، ومنع الانفلات هو الذي يضمن تحقق السلم في المجتمعات المسلمة، فغريزة الخوف القصد من ذرئها في الإنسان وجعلها ضمن عجنته، مقصِد ذلك هو الحفاظ على بقاء هذا الإنسان، ومنع هذا الإنسان فردا واجتماعا من أن يدمر نفسه.

وهذا الضبط لغريزة الخوف يتم بتوجيه هذا الخوف كله إلى ذات الله العلية، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب:39)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 175)، وقال سبحانه: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟

19. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 48-55.

عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة:23).

هذه الآيات كلها توجه غريزة الخوف وتضبطها بحيث يوحد الخوف في ذات الله العلية ويسحب من أي ذات أخرى، مهما أُلبست من لبوس الخوف؛ لأن العلماء قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 175) أنه يلبسهم لباس الخوف فيصبحوا مخوفين، ويسربلهم ويغشيهم بألبسة الخوف.

إن الضبط لمثل هذه الغرائز البشرية، ولفهما في ضوء الهاديات النورانية التي جاء بها الوحي الخاتم، هي كلها ضمانات تسهم في تعزيز السلم على هذا المستوى ضبط الغرائز.

2ـ **البعد الاعتقادي**؛ بَنى الإسلام عقيدة الإنسان على مبدأ التوحيد، وحَرَّره وجدانيًا انطلاقا من عقيدة التوحيد، التي تؤطر نظرة الإنسان إلى الواقع، والحقيقة، والعالم من حوله. وإلى الغفلة عن بعد التوحيد ترجع مختلف التشوهات الفكرية والاختراقات التصورية، والتنزيلية. مما يدعو ويحتم ضرورة استحضاره والعمل وفق محدداته ومقتضياته.

3ـ **البعد القيمي**؛ أثبت السند الديني للأخلاق والقيم في صيغته الإسلامية، أنه قادر على تجاوز القطيعة بين المرجعيتين الدينية والعقلية، وأنه لا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول، وأنه لا تعارض بين مصالح العباد، وتشريع رب العباد، فحيثما المصلحة المنضبطة بضوابطها ثمة شرع الله، وذلك من خلال ما يهدي إليه الوحي الخاتم من انسجام جمالي بين الأخلاق الفردية الخاصة، والأخلاق الجماعية المشتركة، حيث لا تضيع مصلحة الفرد وحرياته، أو حقوق الجماعة وتطلباتها، غير أن هذه الآفاق رغم وضوحها من حيث المبدأ، تقتضي تشميرا تنظيريا، ومنهاجيا، وتربويا، وإجرائيا كبيرا.

ولمحورية هذا البعد يلحّ الأستاذ على أنه لمن المطلوب في سياقنا المعاصر: «أن يتم شفع الجهود الهامة التي تبذل في مجال الدرس الأخلاقي والقيمي، باستنطاق صيغ

الإسناد الديني للأخلاق والقيم الموجودة في عالمنا، قصد فتح إمكانات أوسع للتأطير الإيجابي والانسيابي لأكبر قدر من المجموعات البشرية بهذا الصدد»[20].

4ـ **البعد التشريعي**؛ نجد في الجوانب التشريعية أن المداخل تتعدد، حيث يبرز مدخل الكليات؛ مثل وحدانية الله عز وجل، ومثل إفراده جل وعز بالعبادة، وإفراده سبحانه بالتوجه، وبالقصد، وبالطلب، هذه كلها أمور تجعل السلم يستقر ويستتب في المجتمعات.

تحقيق السلم واجب شرعي، وضرورة من ضرورات استقامة أمانة الاستخلاف والعمران الإنساني.

وأيضا في الكليات التشريعية كما رصدها العلماء نجد أن كل كلية من الكليات الشرعية توطّن للسلم. وحين ندخل إلى المقاصد، وفي مقدمتها مقصد الحفظ، للأركان الخمسة، والضرورات الخمس من نفس، ودين، وعرض؛ بشقيه الكرامة، وعقل، ومال، تثبت وتوطن للسلم.

أيضا التشريعات المتصلة بحقوق الله عز وجل، وحقوق العباد في الحكم التكليفي، نجد أن هذه التشريعات كلها توطِّن للسلم، ثم إن هذه الطبقة المتصلة بالأنساق الاجتماعية وفضائل الأعمال، مثل صلة الأرحام، والبر، ومثل هذه الأمور التي نجد حولها نسيجا مندوباتيا التي حض عليها الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. وكذلك التشريعات المرتبطة بالعدل والعدالة، وكل الآليات المسعفة في ذلك، وفي مقدمتها آلية الشورى، والتي نجدها بارزة في سياق سورة الشورى بين فريضتين: ﴿وَالذِينَ اَسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورِيٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى:38).

5ـ **البعد الاجتماعي**؛ وذلك من خلال اعتبار واستحضار للأخلاق والتنظيمات الاجتماعية، في تحديد للأدوار وللسلط وللمراكز، ولإظهار كل حق ومستحق لذي كل موطن، ومقام، وموقع، إلى غير ذلك من الأدوار التي تمت هندستها بشكل معجز بديع في القرآن المجيد، ثم في بيانه سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

20. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 51.

وأيضا مظاهر الاحتفال ومظاهر التزاور، والفرح والحبور في المجتمعات الإسلامية، توطن للسلم بحيث هذه الطاقات التي إن اكتنزت قد تضر بالإنسان، نجدها تستخرج بطرائق غاية في الجمالية في المجتمعات المسلمة.

6ـ **البعد الاقتصادي**؛ إن الحديث عن بناء السلم ينبغي أن يراعي كل هذه المستويات، تضاف لها الأبعاد الاقتصادية المكملة لغيرها من الأبعاد المذكورة، لدورها في رعاية المصالح على المدى الطويل.

7ـ **البعد السياسي**؛ وهو بعد في غاية الأهمية، وتبرز فيه مؤسسة إمارة المومنين، باعتبارها مؤسسة الإمامة، كما تبرز علاقة الإمامة بالعلامات، والآيات، وبالإبصار ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:24).

> التأصيل لموضوع السلم في القرآن المجيد، وفي السنة النبوية المطهرة يقتضي غوصا استنطاقيا تثويرا وتنويريا للقرآن المجيد.

إن البعد السياسي، والمتمثل في تنظيم المؤسسات، والأدوار، والمراكز، والسلط بشكل في غاية الدقة، يمنع من الانفلاتات التي تؤدي إلى اضمحلال السلم في المجتمعات المسلمة.

إن ما قرره الأستاذ في هذه الأبعاد السبعة، ينم على النضج المنهجي والرؤيوي الذي تميز به الكتاب، يضاف إلى انسلاكية فقراته وصفحاته، وهي كلها عوامل تجعلنا نقرر مع المؤلِّف «أن السلم ليس كلاما تشريعيا فقط، وإنما هو من كل هذه الجوانب وهذه الزوايا. والحديث عن السلم لا يمكن أن يكون مستوعبا إلا إذا روعيت طبيعته العرضانية في آيات الكتاب المحكم، وفي أحاديث سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه، وفي سلوكه صلى الله عليه وسلم، حيث إن هناك أمرا يبرز في كتاب الله تعالى، ولا سيما عند آداب القول؛ مثلا حين نقف مع الآيات التي تأمر المومنين بأن يقولوا التي هي أحسن ﴿وَقُل لِّعِبَادِے يَقُولُواْ اُ۬لتِے هِيَ أَحْسَنُۖ إِنَّ اَ۬لشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۖ إِنَّ اَ۬لشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلِانسَٰنِ عَدُوّاٗ مُّبِيناٗ ۝٥٣ رَّبُّكُمُۥٓ أَعْلَمُ بِكُمُۥٓۖ إِن يَّشَأْ يَرْحَمْكُمُۥٓ أَوِ اِن يَّشَأْ يُعَذِّبْكُمْۖ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاٗ﴾ (الإسراء: 53-54)»[21]

21. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 55.



فهي إذن هندسة محكمة، ومتناسقة، ومنسجمة، وهذه الهندسة تبدأ من المرتكزات الأساسية التي تعد أسّ هذا الصرح، الذي هو صرح بناء السلم في المجتمعات المسلمة في السياق المعاصر.

## رابعا- وظيفية الرؤية الكلية في بناء صرح السلم

تتعدد رؤى العالم بتعدد الأطر المرجعية والمنظومات العقائدية التي تصدر عنها، والسياقات التاريخية والحضارية التي تحيطها؛ ما بين رؤية أسطورية خرافية، ورؤية ميتافيزيقية فلسفية، ورؤية فنية جمالية، ورؤية علمية تكنولوجية، ورؤية دينية توحيدية.. ولكل رؤية من هذه الرؤى نظامها الرمزي، وبنيتها المعرفية، كما أن لكل منها مقوماتها وخصائصها ومقاصدها وبناءها الغائي الكلي.

كما أن «رؤية العالم» تترجم موقفا من العالم قائما على قناعات وتصورات تمثل سندا يعضد وجود الإنسان في هذا الكون، ويحدد موقعه ومكانته ودوره في هذا الوجود..، ومن الطبيعي، بناء على هذا كله، أن تتعدد التأويلات بتعدد الرؤى.

وفي سياق شيوع ما بات يوسم بـ«صدام الرؤى الكونية» (clash of worldviews) أضحى مفهوم رؤية العالم مفهوما مفتاحيا أساسيا في فهم الوجود الإنساني، وأضحى يتميز، في نظر الكثيرين، بدرجة معتبرة من الإجرائية العلمية والمنهجية في تحديد المشكلات البحثية، وبلورة المعايير والفرضيات والمنظورات التفسيرية المناسبة.

إن الرؤية الكلية للعالم، كما يستبطنها القرآن المجيد، «تؤكد أن الدين الإسلامي إنما تنزل لا ليغير المعتقدات، والتصورات، والمفاهيم، والمشاعر والشعائر، لدى من اختاروا الإيمان به فحسب، وإنما كذلك ليغير واقعهم التاريخي والحضاري.. وذلك عبر تحريرهم من كل الوصايات والأغلال؛ وتمكينهم من تلقي تصوراتهم، وقيمهم، ومعاييرهم، وأحكامهم، ومقاصدها الكلية من المرجعية القرآنية الحاكمة والهادية»[22].

وبصيغة واضحة يؤكد الأستاذ أن «الرؤية هي خارطة الوجود، وهذه الرؤية... هي التي تمكننا من التعاطي الموثوق لاستخلاص الأحكام من كتاب الله عز وجل،

22. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 66.

هذه الرؤية الكلية، والبراديكمات والأنساق المعرفية، والمركبات المفاهيمية، والأطر المرجعية، التي تتكون منها وتَبْنيها. وكوننا فرطنا في هذه القضية أصبح من الممكن أن يقول من شاء ما شاء في جوانب التشريع والتنظير لمعاني السلم وغيره. لذلك فتجديد هذه الرؤية، وبناء هذه الرؤية الكلية أصبح من آكد الفروض على العلماء، وهذه الرؤية تبدأ من المفهوم والمصطلح، ثم في طبقة ثانية المصطلحات المتجانسة التي تؤدي بتواشجها وتضافرها، وتلاقحها وتكاملها معاني أكثر تركيبا سميناها المركبات المفاهيمية، ثم هذه المركبات هي التي تصبح بالتلاقي، وبالتضافر فيما بينها وبعضها البعض، تحرر لنا عناصر من الرؤى، وهذا التلاقي ليس نهائيا، فالمركبات المفاهيمية تتلاقى مع بعضها البعض في صيغ غير متناهية»[23].

## خامسا- إحلال السلم وضرورة الوعي بالسياق الكوني المعاصر

في هذا المستوى يفتح الدكتور أحمد عبادي، نافذة الوعي بالسياق، بتطلباته الراهنة، وتحدياته؛ باعتبار أن إنسان العصر الراهن، تحتوشه جملة من العناصر الذاتية، والموضوعية التي يتشكّل منها سياقه الذي يحيا ويعيش فيه، والتعاطي مع هذا الإنسان في ذهول عن عناصر سياقه لا يمكن أن يكون مُستجمِعا بحال لعناصر الفاعلية.

ولإبراز مكانة الوعي بالسياق المعاصر في بناء نظر مستأنف لقضية السلم في ظل المقتضيات المستجدة التي أضحت تؤثث عالم اليوم، بسط الأستاذ تسعة مقتضيات باتت من خصائص العالم المعاصر، وهي[24]:

**المقتضى الأول:** ظاهرة «التبلور» و«التجوهر» لكوكبة من اللغات الحية التي أصبحت بمثابة ما يمكن تسميته بـ«المفاعل» اللغوي والتواصلي لعالم اليوم؛ وفي صلبها اللغة العربية، اللغة الانجليزية، والصينية، والفرنسية والإسبانية. فقد بدأ العالم، يخرج من واقع برج «بابل» إلى واقع آخر جديد يتفاهم فيه البعض مع البعض الآخر.

23. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 72-73.

24. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 82-85.

**المقتضى الثاني**؛ المتمثل في الموجة التطويرية الرابعة التي هي «النانوتكنولوجيا» التي نقلت إدراكنا من الاقتصار على العالم متناهي الكبر إلى العوالم متناهية الصغر، مما فتح إمكانات هائلة في مجال الفاعلية والتسخير لم يُتَبين مداها بعد.

أما **المقتضى الثالث**؛ فيتمثل في الهم البيئي المشترك، الذي جعلنا، بدافع الاحتباس الحراري والكوارث الطبيعية الأخرى، نعي لأول مرة في تاريخنا البشري، وبشكل واقعي، أننا فوق مركبة موحدة يتحتم علينا أن نشتغل بطريقة مشتركة للحفاظ عليها.

أما **المقتضى الرابع**، فيتمثل فيما أفرزته تكنولوجيات الاتصال والإعلام الحديثة، التي انبثقت من صلبها جملة من الظواهر كظاهرة «المواقع الاجتماعية» التي نحتت نحوتا ناتئة في الجوانب الهوياتية بسبب الإيقاع السريع والفاعلية الكبيرة اللذين فرضا على عالمنا، فقد عرف عالمنا أيضا ظاهرة جديدة تتمثل في القدرة على بلورة مواقف ورؤى وآراء وأذواق مشتركة بسرعة كبيرة، لم يعهدها العالم من قبل.

> تتعدد رؤى العالم بتعدد الأطر المرجعية والمنظومات العقائدية التي تصدر عنها.

وفي ظل هذا المقتضى الرابع، انبثق **مقتضى خامس**؛ يتمثل في أن البشر بسبب كل ما سبق، أصبحوا يدركون، ويلمسون أنهم يوجد فوق كويكب صغير محدود، يمر تيار التأثير والتأثّر بين جنباته بيسر بالغ، إلى درجة أن مشاكل الجميع أضحت مشاكلَ الجميع، مما قلّص الخصوصيات إلى أبعد الحدود!!

أما **المقتضى السادس**؛ فيتصل بالمنظومة الحقوقية وبالحريات مما أصبح له سريان في الدساتير والقوانين الدولية العامة والخاصة، وأصبح يمثل توجها متوافقا عليه بين البشر، مما وجب استحضاره واستدماجه في كافة أبعاد الكسب الحضاري بمختلف تجلياته.

أما **المقتضى السابع**؛ فيتجسد في المنظومة القيمية الكونية «Global Ethics»، والتي يعرف المرء منها وينكر، وهي ظاهرة تواشج القيم مع بعضها البعض، في عالمنا المتداخل، في أفق تشكيل منظومة قيمية مشتركة، مما سوف يكون له، بدون شك أثره البالغ على أضرب التماسك الاجتماعي على الصعيد العالمي، ويقتضي من أهل الحضارات

والأديان، أن يبنوا أيضهم / Metabolism الحضاري للتعاطي برشد وإيجابية وسلامة مع هذا المقتضى.

في حين يتمثل **المقتضى الثامن**؛ في المحاولات الحثيثة الرامية إلى إيجاد نظام اقتصادي وثقافي وسياسي شامل، وهو نظام من شأنه أن يكون كُلِّيا، حيث سوف يكون من الصعب جدا أن يتم إسهام أهل حضارة معينة فيه برؤية كلية مستبطنة من مرجعيتهم دون أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه المقتضيات.

> قضية الحقوق في علاقتها بالسياق المعاصر تكتسي أهمية استثنائية من الناحية البراديجماتية العملية.

**المقتضى التاسع**؛ وهو ظاهرة انصهار الأنساق المعرفية والأطر المرجعية والمركبات المفاهيمية التي باتت تتبلور في شكل مجمعات مفاهيمية تشبه «أحياء المدينة» التي يتحكم وصلها بطرقات ودروب للعلاقات العضوية بين هذه المركّبات، ومن هنا انبثقت مرحلة «القبة المفاهيمية والمرجعية لـ «Christen Dom» و «Islam Dom» و«Budhist Dom» ، وغيرها؛ أي تلك القباب المفاهيمية والمرجعية الشاخصة في عالمنا الجديد، والتي بتأثيرها وتوجيهها يتم التعاطي بين مختلف الحضارات في عالمنا..

بصيغة استشكالية يبني الأستاذ سؤالا وظيفية في ظل هذه المقاضيات، وهو: كيف نحقق التكامل، والإغناء المتبادل، ونتجنب التنافي؟

ليخلص إلى أنه «بات من اللازم أن تتحلى القوة الاقتراحية لمختلف المرجعيات التي تؤثث هذا العالم بأكبر قدر من الوعي بهذه المقتضيات وأكبر قدر من العلمية، وبالتالي أصبح من اللازم النظر في كيفية تقديم القوة الاقتراحية المستنبطة من مختلف هذه المرجعيات في أفق قدح زند تفاعل إيجابي، بين هذه المنظومات المفاهيمية والمرجعية، ولاشك أن التعاطي مع قضية السّلم في منطقتنا، سوف يَكون أرشد وأنجع، إذا تم استحضار هذه الأبعاد المؤثرة، التي باتت تؤثث عالمنا الحاضر، بل: تحدد معناه، وتؤثّر في مبناه»[25].

25. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 85.

## سادسا. السلم حقا من الحقوق التضامنية

أن يتطارح الأستاذ سؤال حقوق الإنسان في علاقته بقضية السلم في سياقنا المعاصر، فهذا إقدام معرفي يبين جدّة وجدية المقاربة العلمية التي رام الدكتور أحمد عبادي ترسيخ أسسها في التعاطي مع موضوع له كل الامتدادات والتمظهرات التي سبقت الإشارة إلى بعضها.

ولا يخفى أن قضية الحقوق في علاقتها بالسياق المعاصر تكتسي أهمية استثنائية من الناحية البراديجماتية العملية، بالإضافة إلى أهميتها العلمية، والمعرفية، وذلك «لأن التجانف، بل والتنكر للحقوق الإنسانية، أمر في غاية الورود، إذا لم تراع أثناء عملية تنزيلها، مواءمتها الثقافية للسياقات الحضارية، والأنثربولوجية المستقبِلة، ولأن المصداقية الثقافية لهذه الحقوق لدى المتلقين، محورية في عملية تملكهم لها، فإنه ينبغي تشجيع الجهود الرامية إلى تعويض الفرض والإقحام والإلزام، بالتوطين والإفهام والإسهام...»[26]

لقد تغيى الدكتور أحمد عبادي وضع جملة لبنات وظيفية، تسهم في التعزيز العملي والاستشرافي لعلاقة السلم بسؤال الحقوق، وبين يدي هذا البناء، نبّه الأستاذ إلى إشكالية مدى مخالفة أو مواءمة القانون العالمي لحقوق الإنسان للممارسات التشريعية والثقافية المحلية، التي ركزّ عليها التداول حول كونية حقوق الإنسان في عمومه؛ وهو تداول رام فكّ العُقَد لصالح البراديغم الكوني..

غير أن ما يلاحظه الأستاذ، بهذا الخصوص، هو «أن عناية أقل بكثير، قد أوليت إلى البحث عما يمكن أن يفيده ويَثْري به الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بدراسة الأنساق التشريعية والثقافية الكونية المختلفة»[27].

وفي هذا السياق، يؤكد الأستاذ أنه «مع انبثاق الجيل الثالث من حقوق الإنسان، الحقوق التضامنية؛ كالحق في البيئة السليمة، والحق في السلام، والحق في التنمية، تبين أن مكّون الحقوق، يفتقر إلى التواشج مع مكون الواجب، في طفرة متجاوزة لما كان

26. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص:105-106.

27. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص:105.





عليه الأمر في الجيلين السابقين من حقوق الإنسان، جيل الحقوق المدنية والسياسية، ثم جيل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، المرتكزين على البراديغم القائم على الحقوق فقط»[28]

وسبب ذلك، في نظره على حد تعبير الباحث Ben Saul «أن النضالات التي قامت بها حركة حقوق الإنسان ضد الاستبدادات المختلفة في مرحلة أولى، وفي مرحلة ثانية، ضد النفاقات الاجتماعية، والإقصاء، ونقائص النضالات السالفة، والتي ارتكزت جميعُها، على مواجهة ما كان يفرضه المتنفذون من واجبات ظالمة على الأفراد، فقد بلورت حركة حقوق الإنسان، حذرا وحساسية تلقائيين، تجاه كل لغة فيها حضور لمفاهيم الواجب والإلزام، وهما حذر وحساسية مبرران، بالنظر إلى تاريخ هذه الحركات النضالي»[29]

ومن هنا تأتي المعاناة التي ترافق السعي إلى تنزيل الجيل الثالث من حقوق الإنسان، والتي تستدمج في عين بنيتها، ضرورة الارتكاز على الواجبات أيضا، بإزاء الحقوق التي لا يمكن جلبها للأفراد إلا إذا كان لديهم الاستعداد للقيام بواجباتهم بهذا الخصوص، فمثلا «لا يتصور النهوض بتنمية بدون انخراط الأفراد في هذا النهوض، من خلال القيام بواجباتهم بهذا الصدد. مما يستدعي وجوب مواكبة هذه الحقوق أولا: بنسيج تأهيلي، تصوريا، وتربويا، ونضاليا، وتقويميا بطريقة قصدية، وإلا فستبقى الحقوق التضامنية مجرد شعارات. ومواكبتها ثانيا بنسيج تشريعي احترازي، لحمايتها من الارتداد إلى أتون الدولانية(Etatism) من جديد كما يقول دون. إي. إيبرلي Don. E. Eberly في كتابه Building a community of citizen»[30]

وبعد أن يقرر الدكتور أحمد عبادي إلى أن خلق حقوق جديدة أضحى موضة؛ حيث تم الآن اقتراح حقوق كثيرة من الجيل الثالث[31]، يقرر أن غير واحد من الباحثين

28. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص:108.

29. Ben Saul, Supra-note 62, at 616.

30. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص:109.

31. انظر:
Stephen P. Marks, Emerging Human Rights: A New Generation for the 1990s? 33 RUTGERS L. REV. 435, 441 (1981).



قاموا باقتراح جملة من الحقوق المنتمية للجيل الثالث[32] من الحقوق التضامنية، وهي: الحق في التنمية، والحق في البيئة الصحية، والحق في السلم.

ومن بين هذه الحقوق الثلاثة نجد «أن الحق في السلم هو الأقل تطورا وتحديدا في القانون الدولي لحقوق الإنسان؛ لأن الدول والشخصيات المهمة في الأمم المتحدة وكذا المجتمع الدولي لم تبدأ في بلورة الحق في السلم إلا في العقود المتأخرة. في البداية فإن لجنة الأمم المتحدة حول حقوق الإنسان أقرته حقا من الحقوق في قرار مثير للجدل عام 1976. وفي عام 1978 تم تقنينه حقا من الحقوق الفردية والجماعية في إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة حول إعداد المجتمعات للعيش السلمي ودعم إعلان 1984 حول حق الشعوب في السلم هذا التقنين. وعلى الرغم من اعتراف القانون الدولي بهذا الحق، فإن معالمه ما زالت فضفاضة، كما أن هذه الجهود (التقنينية) لاقت معارضة شديدة من القوى العظمى التي ارتأت أن يترك موضوع السلم ونشره بين الشعوب إلى هيئات أممية أخرى وخصوصا مجلس الأمن، وأن لا يضاف إلى اللائحة الرسمية للحقوق التقليدية»[33].

> من آليات تعزيز السلم في سياقنا المعاصر: حتمية العناية بالبعد المضموني.

ومن صور الإقدام المعرفي والمنهجي الذي بصم عليه الدكتور أحمد عبادي، في هذا الكتاب، عنايته بمدخل حفظ الضروريات (الدين، النفس، العرض بشقيه «الكرامة، والنسل»، العقل، المال) شرط لتحقيق السلم؛ حيث رصد في الفصل السادس، عددا من المركبات التشريعية المشَكِّلة لصرح السلم انطلاقا من محدد الحفظ الخاص بالضروريات الأساسية التي دل الاستقراء والبحث والدراسة والتأمل على أن الشرع الحنيف جاء

32. وهنا يذكرون حقوقا أخرى من قبيل: الحق في الغذاء، والحق في المساعدة الإنسانية، والحق في إشباع الحاجيات الأساسية، والحق في نزع السلاح، والحق في التواصل، والحق في ملكية التراث الإنساني المشترك.
انظر:
KarelVasak, Pour une troisième génération des droits de l’homme, in STUDIES AND ESSAYS ON INTERNATIONAL HUMANITARIAN LAW AND RED CROSS PRINCIPLES (Christophe Swinarski ed., 1984).103, at 842.

33. انظر: د. جاسون مورغان فوستر، **الجيل الثالث من حقوق التآز**، مجلة الإحياء، العدد 41-42، سنة 2014.

لتحقيقها، باعتبارها مصالح للناس، وأن الأحكام الشرعية كلها إنما شرعت لتحقيق هذه المصالح.

ويقصد المؤلف بمحدد الحفظ، «حفظ الحقوق والمصالح الضرورية التي بها تتحصل السعادة في العاجل والآجل، وهذا الحفظ يكون بأحد أمرين: الأول: من جانب الوجود؛ وذلك بما يقيم أركانها ويثبت قواعدها. والآخر: من جانب العدم؛ وذلك بما يدرأ الخلل الواقع أو المتوقع فيها»[34].

ظاهرة انصهار الأنساق المعرفية والأطر المرجعية باتت تتبلور في شكل مجمعات مفاهيمية.

مستنده في ذلك ما أشار إليه أبو إسحاق الشاطبي في موافقاته، من أن منهج التشريع الإسلامي لرعاية هذه المصالح يسلك طريقين أساسين: الأول: تشريع الأحكام التي تؤمن تكوين هذه المصالح وتوفر وجودها.. الثاني: تشريع الأحكام التي تحفظ هذه المصالح وترعاها وتصونها، وتمنع الاعتداء عليها أو الإخلال بها، وتؤمن الضمان والتعويض عنها عند إتلافها أو الاعتداء عليها، وبذلك تصان حقوق الإنسان، وتحفظ، عن طريق إقرارها بما يلزم[35].

ولئن كان ضمان الحقوق للإنسان، من أعظم الأمور التي تحصل بها سعادته، ومن ثم يغدو الإنسان فردا وجماعة متشبعا بثقافة السلم، وحريصا على تحقيقها، وتحقّقها، يقرر الأستاذ في الفصلين السابع والثامن، أن الحديث عن السلم في سياقنا المعاصر اليوم لا يستقيم إلا باستحضار مقتضيات مفهوم الواجب ومقتضياته[36]، كما هي مقررة في المنظومة الاعتقادية والتصورية للإسلام، وكذا إلزامية الإمامة القادرة على الإبصار[37]،

34. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 111.

35. الشاطبي، **الموافقات**، 5/2.

36. الحديث عن مفهوم الواجب في هذه الظرفية بالذات، في ارتباطه بمفهوم السلم، له راهنيته، فالواجب لحمة وسدى النسيج العلائقي في المجتمعات والمؤسسات، وهو المحور الذي يتمحور حوله إنجاز الدول والحضارات. لمزيد من التتوضيح، ينظر **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 119- 130.

37. وتبرز وظيفية مؤسسة الإمامة العظمى بهذا الصدد، بكونها المؤسسة المجمع على امتلاكها الصلاحية الحصرية في إعلان الحرب، ولا حق لفرد، ولا لمؤسسة سواها أن يفعل ذلك. راجع

حجته في ذلك أن المدخل إلى تحقيق السلم وجب أن يكون متعدد الأبعاد، ومنتجا لخطابات بديلة وجاذبة، وذلك نحو تعزيز السلم في مجتمعاتنا بالشكل الذي يستجيب لحاجات شبابنا، المادية، والمعنوية، كما يستجيب لمقتضيات ومستلزمات السياق الراهن.

## ثامنا. تدابير تحقيق السلم في البلدان المحترقة

يؤكد الدكتور أحمد عبادي، في الفصل التاسع أن «المنطقة تعرف كلَّ سنة موت تسعة ملايين طفل قبل إدراك ربيعهم الخامس، والمرأة في بلدان افريقيا جنوب الصحراء تتعرض للموت بنسبة 1/ 30 (واحد على ثلاثين) أثناء الإنجاب، بيد أن هذه النسبة في شمال الكوكب لا تتعدى 1/ 5600. كما أن معدل العمر، في بلدان الجنوب لا يتجاوز 55 سنة، في حين أنه في بلدان الشمال يتعدى 80 سنة، ومعدلات الأمية، وعدم القدرة على فهم المرء ما يجري حوله في هذا العالم المتغير مسألة في تزايد.

وبالإضافة إلى كون الفقر ينتج كل هذه المآسي، ويقدح أزندة الغضب الذي يقود إلى تصرفات غير محسوبة المآلات كما ثبت في السنوات الأخيرة، فإن الفقر أكثر من ذلك يؤدي إلى هدر غير مقبول للمواهب والكفايات التي يمكن أن تغير وجه عالمنا نحو الأفضل...»[38]

بناء على هذه المعطيات، وغيرها مما يطفح يوميا، وبأرقام مخيفة على المدين المتوسط والبعيد، ينطلق الدكتور أحمد عبادي من رؤية متزنة، ومنضبطة لما سبق تقريره من محددات ومقتضيات لإقامة السلم في المجتمعات المسلمة في السياق المعاصر.

ومن هذا المنطلق، يقرر أن تحقيق السلم في البلدان المحترقة التي تنتسب للعالم الإسلامي، والتي تشهد كل هذه الاضطرابات، يقتضي الانطلاق من قاعدة تدبيرية خماسية الأبعاد[39]:

---

لمزيد من التفصيل: **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 133-139.

38. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص:143-144.

39. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص: 144-148.





**البعد الأول:** ويتمثل في الانطلاق من إدراك أن الفقر يستحكم بسبب افتقار الفقراء إلى الخبرات والمهارات التي تؤهلهم للكسب والعيش الكريم، ومن ثمّ فإن استدراك هذا الخصاص يتأسس حتما على بناء القدرات، ومنح المعارف، وإتاحة المعلومات (التي تتيح علما أدقَّ بالواقع، وتمكّن من امتلاك فاعلية أكبر في معالجة مظاهره). وحريّ بالتذكير أن هذا العمل ليس عمل الدول وحدها، وإنما هو، ومن باب أولى، عمل مؤسسات المجتمع المدني التطوعية والفاعلة، مما يعتبر في ديننا الحنيف واجبا شرعيا مؤكدا، يعتبر عدم القيام به تكذيبا بالدين، بمقتضى قوله تعالى: ﴿أَرَآيْتَ أَلذِے يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ أَلذِے يَدُعُّ اُ۬لْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ اِ۬لْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ أَلذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ أَلذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ اَ۬لْمَاعُونَ﴾ (الماعون: 1-6).

وفي سعيه لتحديد المسؤوليات في هذا الباب، قرر أن هذا لا يعني بحال، تبرئة ذمة المواطنين من القيام بواجباتهم في هذا الصدد. وهو ما قرره إمام الحرمين، رحمه الله، بقوله: «ومما يجب الإحاطة به أن معظم فروض الكفاية مما لا تتخصص بإقامتها الأئمة بل يجب على كافة أهل الإمكان أن لا يغفلوه ولا يغفلوا عنه. وإن ارتفع إلى الإمام أن قومًا يعطلون فرضًا من فروض الكفايات زجرهم وحملهم على القيام به»[40]، إلى أن يقول: «والدنيا بحذافيرها لا تعدل تضرر فقير من فقراء المسلمين في ضر، فإن انتهى نظر الإمام إليهم رمَّ ما استرمّ من أحوالهم، فإن لم يبلغهم نظر الإمام وجب على ذوي اليسار والاقتدار البدار إلى دفع الضِّرار عنهم، وإن ضاع فقير بين ظهراني موسرين حرجوا من عند آخرهم وباؤوا بأعظم المآثم وكان الله طليبهم وحسيبهم. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يومن بالله واليوم الآخر، فلا يبيتنّ ليلةً شبعانَ وجاره طاو»[41]. وإذا كان تجهيز الموتى من فروض الكفايات، فحفظ مهج الأحياء وتدارك حُشاشَة الفقراء أتم وأهم»[42].

40. الجويني، **غياث الأمم في التياث الظلم**، ص:155-156.
41. رواه البخاري في الأدب المفرد ص: 46.
42. الجويني، مصدر سابق، ص:173-174.

**البعد الثاني**: ويتمثل في الانطلاق من إدراك أن من أكبر المشاكل لدى الفقراء في بلدان المنطقة، هو أنهم قد أُسلِموا لأنفسهم، ولم يتم ضمان مواكبتهم لتمكينهم من اتخاذ القرارات الصائبة، ذات الصلة بمعيشتهم، وتيسير التأمينات الغذائية والصحية والتربوية والحياتية، والمستقبلية، الذي من شأنه إتاحة الحد الأدنى من الاستقرار الممكّن من عكس المعادلة، والشروع في بناء الذات والمحيط.

فالاهتمام بالفقراء والمساكين من الجانب المادي، كإشباعهم، وإلباسهم، وعلاجهم، مسعىً جليل، وعظيم النفع، غير أنه يظل محدود الجدوى في تطويق الحاجة، وتحقيق النفع، مما يحتاج إلى توسيع، ليشمل الرعاية العلمية، والرعاية النفسية، والرعاية الاجتماعية، والرعاية الاقتصادية، والسياسية. وإن كان هناك ما له الصدارة والأسبقية في توعية الإنسان وتكوينه، وتخليصه من الأوهام والمخاوف، ومن كثير من الأمراض النفسية والعقلية، وتمتيعه بأساس الحرية، المتمثل في تخليصه من الفقر بمفهومه الواسع والشامل.

> مكّون الحقوق، يفتقر إلى التواشج مع مكون الواجب.

**البعد الثالث**: وهو المتمثل في غياب أسواق القرب، التضامنية الرحيمة، التي لا تستنزف الفقراء، ماديا ولا معنويا، بل تتيح لهم أسباب العيش مع الكرامة، وكذا إدراك غياب الخدمات الصحية، وكافة الخدمات الاجتماعية الموائِمة، والمُكيَّفة مع سياقهم ومقتضياته.

**البعد الرابع**: ويتمثل في إدراك أن الفشل ليس قدرا محتوما على هذه البلدان؛ لأنها فقيرة، أو لأن الحظ لم يحالف أهلها في تاريخهم، أو فقط، لأن أضربا من المؤامرات تحاك حولهم، إذ إن أغلب أضرب الفشل ترجع في مجملها إلى ثلاثة أسباب رئيسة: الجهل، واستحكام الإيديولوجيات الكزّة، ثم السلبية.

وغير خاف أن استدراك أضرب القصور هذه بدوره يبدأ من بناء القدرات وتوفير المعطيات، وتعزيز الرابط الاجتماعي، وإشراك أعضاء المجتمع الراشدين في تحملهم المسؤوليات ضمن استراتيجيات تنموية واضحة، وكذا إشراكِهم في اتخاذ القرارات وتحملهم تبعاتها.

**البعد الخامس** والأخير، ويكمن في تزعزع الثقة بالذات، إفرادا واجتماعا، وتآكل هذه الثقة، يكون مصدره تارة، تكرار الوالدين على أسماع أطفالهم أنهم مجرد أفواه تبلع، وبطون تطحن، وأعباء تُنهك، مما يزعزع ثقتَهم في ذواتهم. وتارة من قبل المعلمين الغاضبين؛ الذين يرون أنهم يستحقون أفضل؛ حيث ينعتون هؤلاء الأطفال الجائعين والمرضى، بأن معدل ذكاءاتهم دون المطلوب لفهم المقررات فيؤدي ذلك لترك الدراسة، وأحيانا من قبل الساسة؛ الذين يكررون على مسامعهم بأنهم لو كانوا مع أناس آخرين لحققوا المعجزات، وأن مواطنيهم لا يستحقونهم، وأحيانا أخرى، كيفية التعاطي مع التقارير الدولية التي دائما ما تتحدث عن هذه البلدان، باعتبارها في حالات مأساوية غير قابلة للاستدراك. وهي أمور يقتضي تجاوزها إعادة بناء الثقة من خلال بلورة حلم مجتمعيّ مُقطِّب، يجذب المواطنات والمواطنين في هذه البلدان نحو الأعلى، لتنمية ذواتهم ومجتمعاتهم.

> بلورت حركة حقوق الإنسان، حذرا وحساسية تلقائيين، تجاه كل لغة فيها حضور لمفاهيم الواجب والإلزام.

إنها أوراش خمسة متكاملة، لكنها مهملة في بلدان المنطقة، ولا يمكن بدون القيام بالمتعيّن بخصوصها، تحقيق مطلب تعزيز السلم فيها.

## تاسعا ـ من آليات تعزيز السلم في سياقنا المعاصر: حتمية العناية بالبعد المضموني

تنضاف إلى الحقائق السالفة، معطيات بوّأها الأستاذ مكان الآليات العملية التي من شأن إعمالها تعزيز السلم في مجتمعاتنا المعاصرة، وفي سعيه لترسيخ هذه الآليات، أبدع الدكتور أحمد عبادي في نسجها ونظمها بشكل يفضي سابقها إلى لاحقها، وفق رؤية واضحة المعالم، وفي غاية التواشج، وقد حددها في اثنى عشر عنصرا:

**الأول**: هو عنصر الرؤى المؤطرة لهذه السياسة، **الثاني**: الاستراتيجيات التي سوف تتفرع عن هذه الرؤى. **الثالث**: المخططات التي تروم تنزيل هذه الاستراتيجيات، **الرابع**: التشريعات التي تستهدف وضع الضوابط والمفاصل لصون هذا التنزيل بطريقة أرشد، **الخامس**: التنظيمات وهي هنا بُعد عملي وميداني فيه درجة أخرى من التنزيل لهذه التشريعات، **السادس**: إنشاء البُنى التي سوف التي يتم التمكن من خلالها من

التنزيل، **السابع**: رصد ما يمكن من الإمكانات البشرية، ثم المادية، **الثامن**: التدابير والإجراءات، ثم **التاسع**: الإنجازات، **العاشر**: التقويمات، **الحادي عشر**: التحسينات، **الثاني عشر**: التجويدات لتحسين الرؤى وتحسين الاستراتيجيات.

وكعادته في ربط النظري بما يذلل تنزيله، نبّه الأستاذ إلى أن التحدي الأكبر الذي تشترك فيه العناصر الاثنى عشر سالفة الذكر، هو تحدي البعد المضموني، حيث لا نجد عندنا اليوم ما يكفي من المضامين الوازنة؛ وحتى نتمكن من بلورة مضامين وازنة، نحتاج إلى جملة أمور[43]:

1 ـ صياغة، وبناء وشحذ كفايات، للتمكن من إنتاج مضامين قوية ومنافسة.

2 ـ التركيز على البعد الهندسي؛ والذي تدخل فيه الاستراتيجيات وتدخل فيه المخططات، وتدخل فيه الإجراءات، والتدابير؛ ولا أعني بالهندسة هندسة البناء، ولكن أقصد الهندسة المعرفية، ثم الهندسة التربوية وهي هندسات نفتقر إليها في سياقنا المحلي الراهن.

3 ـ نحتاج إلى علماء رواد؛ والعالِم هاهنا بمفهومه الشامل؛ وهذا هو الذي سميناه التقوية Empowerment، فلابد من الاستثمار في الشباب الذين نريدهم علماء رواداً، ومن أجلهم.

4 ـ إلى جانب العلماء الرواد، لابد أن تكون لدينا شبكات تضمن الوساطات مع عموم الناس، وهم العلماء الوسطاء؛ الذين بهم يمكن أن تُواجه، وأن تُرصد أضرب السلوكيات الخطرة، وفي مقدمتها التطرف، والإرهاب، والكراهية، والعنف.

5 ـ التثقيف بالنظير L'Education Par Les Pairs لأن الشباب ـ وكما سلف ـ يكون أكثر تأثيرا على الشباب، ودراسة حالة «داعش» تفيد ذلك، وهذا ليس رد فعل على «داعش» وإنما هذه ثمرات الدراسة والخبرة الميدانية.

6 ـ أن يكون هناك نوع من التقوية في مجال تواجد وأماكن عيش الشباب، ولابد أن نفرز المضامين التي تمكن هؤلاء الشباب من أن يدركوا، ومن أن يسهموا، ومن أن يَبنوا،

43. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص:181-183.

وأن يكون لهم دور؛ لأن الشباب سئم من المقاربة التعليمية والتدريسية والإملائية، من دون أن يكون له إشراك.

7 ـ أن تكون هناك جملة من البدائل؛ وهي بدائل تبدأ من الرسوم المتحركة بالنسبة للأطفال، رسوم تحمل رؤى، وقيما، وأنماط سلوكية، ولغة للتواصل مفهومة؟ وعندنا مراكز الفنون الجميلة في العديد من بلداننا، تخرج مئات الطلبة الشباب في السنة، لا تتم الاستفادة منهم بهذا الصدد. كما ينبغي الحرص على تنشئة الخرجين الموجودين الآن في الطبيعة، واستثمارهم في سبيل تحقيق هذا المقصد.

8 ـ ينبغي أن تكون عندنا الآن مراصد وطنية للقيم،لأن ذلك بات من أولى الأولويات.

9 ـ لابد أن ننشئ أماكن عيش صالحة، تستوعب أنشطة الشباب، وتستجيب لتطلعاتهم، من قبيل أندية سينمائية بنّاءة، يتم فيها بناء مهارات التحليل والنقد، وتُكتسبُ فيها أضرب من الخبرات، لأن التحدي الآن هو كيف يمكن أن أواكب شبابي دون أن يُجتالوا، أو يُختطفوا إلى القبائل الرقمية أمام ناظري؟

10 ـ نرنو إلى أن تظهر هذه الأمور في برامج الأحزاب السياسية، والجمعيات المدنية في بلداننا، بما أنها هي الذراع العملي المخوّل قانونيا، ولكن قبل ذلك، تظهر في برامجنا التربوية، والتعليمية.

وفي ختام هذه الرحلة العلمية في ثنايا هذا المؤَلَّف، أشير إلى أن الدكتور أحمد عبادي استطاع في مقاربته لمفهوم السلم في الإسلام، أن يمزج بين دقة المنهج، وعمق الرؤية، ووظيفية المعرفة، مستثمرا هذا الثلاثي، في بناء مبادئ تأصيل السلم؛ على المستويات القرآنية، والحديثية، والاعتقادية، والتربوية، والاقتصادية، والسياسية، والاستشرافية.

ومن خلال المنهجية المعتمدة في ترتيب فصول الكتاب، خرج المؤلف من النطاق الجزئي إلى النطاق الكلي، من خلال انطلاقه من رؤية تمزج بين النظري والمنهجي، وهذا أكبر شاهد على اتساع الرؤية لدى الأستاذ، كما أنه دليل على النسقية الواضحة في منهج الفهم والقراءة.





إن اعتبار الخصائص والمميزات سالفة الذكر، هي التي مكّنت من بلورة قوة اقتراحية، ختم على إيقاعها المؤلف كتابه حيث يقول: «لاشك أن وسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني، والجامعات ومراكز الدراسات والأبحاث، كلها مدعوة للانخراط الجادّ والمثابر في الأوراش سالفة الذكر حتى يحل السلم، والأمن، والأمان، بدلا عن التمزع، والتشظية، والفرقة، كما أن الساسة والمشرّعين، وأهل المسؤوليات المختلفة في أوطاننا، مدعوون لبذل ما يلزم من جهد لتبني هموم الناس وتخفيف معاناتهم، وتمكينهم من مقدراتهم، وإغماد سيف الظلم، ونير القهر من فوق رقابهم، وإزالة الفقر ودعم التلاحم والتراحم بين أبناء هذه الشعوب من أجل الاضطلاع بتحقيق السلام، وإشاعة الاطمئنان، وتجاوز آفة التطرف والطائفية الضاربة.

الحقوق التي لا يمكن جلبها للأفراد إلا إذا كان لديهم الاستعداد للقيام بواجباتهم.

غير أن المؤسسات العلمائية تبقى بهذا الصدد هي المؤسسات التي يقع على عاتقها كبير من المسؤولية، لكون طبيعة جلّ التحديات ضاربة بجذورها في عمق الأمة الديني»[44].

44. **مفهوم السلم في الإسلام**، ص:184.